

الحضارات القديمة

في القرآن الكريم
للأستاذ عبد المتعال الصعدي

- ٤ -

الحضارة اليهودية

ينسب اليهود إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . وقد أقام أجدادهم في مصر من عهد يوسف بن يعقوب إلى عهد موسى بن عمران ، وهم قلة تدين بالتوحيد الذي دعا إليه إبراهيم أبو الأنبياء ، وكانت الوثنية في ذلك العهد غالبية على الأرض ، ولها دول قوية في مصر وغيرها من الأقطار . وقد تلقى اليهود ما تلقوا في مصر من الذل والهوان في سبيل دينهم ، إلى أن أراد الله تعالى إظهار دين التوحيد في الأرض ، وإقامة حضارة جديدة تقوم على ذلك الأساس الذي يرفع من شأن الإنسانية ، وينقذها من الجهالات التي كانت تتردى فيها على عهد الوثنية . وقد بشر الله تعالى بهذه الحضارة قبل أن تظهر على الأرض بقرون ، نعتيلاً لشأنها ، وتفضيلاً لها على الحضارات الوثنية التي سبقتها ، لأنها ورثت محاسن تلك الحضارات ، وخلت من الطغيان والجهل الذي كان يشوه تلك المحاسن ، وقد جاء ذلك التبشير في أواخر أيام بنى إسرائيل بمصر ، فقال تعالى في الآيات : ٤ ، ٥ ، ٦ من سورة القصص (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ، وزيد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) فالذين استضعفوا في الأرض هم اليهود ، والقرآن الكريم حين يرثي لاستضعفهم في الأرض ، ولما لقوه من الذل والهوان في مصر ، وحين يبشر بأن الله يريد أن يمن عليهم ويجعلهم الوارثين في الأرض ، لا يتحدث عنهم في ذلك بعنوان أنهم يهود ، لأن مثل هذا لا يمتنى القرآن الكريم بشيء ، وكل الناس عنده سَوَاسِيَةٌ من هذه الجهة ، وإنما يتحدث عنهم بعنوان أنهم شعب موحد ، يريد الله أن يجزيهم خيراً على ما لقوه من الاستضعاف في سبيل توحيدهم ، وأن يمن على الموحدين من اليهود

وغيرهم بأن يجعلهم الوارثين في الأرض ، فتقوم لهم دول تغلب عليها ، وتظهر لهم حضارات لا تذكر الحضارات التي سبقتها بجانبها . وقد صدق الله تعالى وعده ، فأخذ التوحيد يقوى شيئاً فشيئاً من عهد قيام دولة اليهود في فلسطين ، وجعل يناضل الوثنية ويفزوها في معارلتها ، وقد رفع لواءه في ذلك النضال أولئك الأئمة الذين اختارهم الله تعالى لهداية البشر ، وكان أعظمهم في ذلك الجهاد الشاق ثلاثة لا تزال آثارهم فيه باقية إلى عصرنا ، وهم : موسى صاحب الشريعة اليهودية ، وعيسى صاحب الشريعة النصرانية ، ومحمد صاحب الشريعة الإسلامية ، وأتباع هذه الشرائع هم الظاهرون الآن في الأرض ، وحضارتهم هي الحضارة العليا ، وهي المثل الأعلى في عصرنا

وقد بلغت الحضارة اليهودية أوج مجدها في عهد داود وسليمان عليهما السلام ، فارتقت فيها العلوم والآداب وتقدمت الصناعة تقدماً عظيماً ، ونهضت التجارة نهوضاً كبيراً . وكان لسليمان عليه السلام أساطيل عظيمة تمخر عباب البحار ، حتى وصلت غرباً إلى بلاد الأندلس ، وجنوباً إلى بلاد اليمن وجنوب أفريقيا . وقد لمت سماء فلسطين في عهده بما أقامه فيها من المدن المقامة ، وبما شيده فيها من بيوت العبادة ، وبما رفعه فيها من الصروح والقصور الجليلة ، وهو مع هذا رسول من رسل الله الكرام ، وإمام من أولئك الأئمة الذين بشر الله بهم في أواخر أيام بنى إسرائيل بمصر

ولا شك في أن ظهور هذا كله في عهد سليمان أعظم رد على أعداء التوحيد ، لأنه يبين خطأهم في ظنهم أن التوحيد يجافي الحضارة وينأى عن مظاهر الجمال التي تمتاز بها عن البداءة ، ولا يتسع لها صدره كما يتسع لها صدر الوثنية

وفيه أيضاً أعظم رد على أولئك المنتطعين في الدين ، وهم الذين يتفقون في ذلك الظن الخاطئ مع أعداء التوحيد ، فيظنون أن الدين ليس إلا خشونة وتقشفاً ، وأن المثل الأعلى فيه هو الزهد في زينة الحياة الدنيا ، لا يفرقون في ذلك بين الزينة التي أحلها الله تعالى وبين الزينة التي حرمها على عباده

وقد نوه القرآن الكريم بمظاهر الحضارة التي تمت في عهد داود وسليمان في آيات كثيرة منه ، فمن ذلك قوله تعالى في الآيات (١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣) من سورة سبأ « ولقد آتينا داود منا فضلاً ، يا حبال أوبي معه والطير ، وألنا له الحديد ، أن

اليجر ، ثم وضع سريره في صدر المجلس وجلس عليه ، فلما جاءت بلقيس قال لها : ادخلي الصرح ، فحينئذ حسبته لجة عظيمة من الماء ، وكشفت عن ساقها لتخوضها إليه ، فقال لها : إنه صرح ممرد من قوارير ، فحينئذ سترت ساقها ، وآمنت بعظمة ملك سليمان عليه السلام .

ولكن اليهود أدركهم في حضارتهم من الفرور ما أدرك غيرهم ، حتى زعموا أن ما وصلوا إليه فيها كان إيثاراً من الله لهم فركنوا إلى ذلك الفرور حتى سلبهم الله ما كانوا فيه من العز ، وسلط عليهم غيرهم من الأمم ، وإلى هذا يشير الله تعالى في الآية (١٨) من سورة المائدة (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، والله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير »

وقد أضافوا إلى ذلك الفرور القاتل الاستكانة للرؤساء حتى اتخذوا أحبارهم أرباباً من دون الله فسار قادتهم وراء أهوائهم ، ولم يكن لهم من أمتهم رقيب عليهم ، وكان لهذا أثره أيضاً في القضاء على حضارتهم

عبد المتعال الصبيري

(بنح)

أعمل سابقات وقدّر في السرد وأعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير . وسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يرغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات عملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور »

ومن ذلك ما ورد في شأن بلقيس ملكة سبا ، وفي شأن الصرح العجيب الذي بناه لها ، وذلك في الآيات (٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤) من سورة النمل « قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون . فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو . وأوتيناه العلم من قبلها وكنا مسلمين . وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين . قيل لها ادخلي الصرح ، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقها ، قال إنه صرح ممرد من قوارير ، قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين »

وكان هذا الصرح العجيب آية في فن البناء . ذكر المفسرون أنه كان قصراً من الزجاج الأبيض كالسقاء ، وقد أقامه على ماء يجري تحته ، وألقي فيه السمك والضفادع وغيرها من دواب

مكتبة النهضة المصرية

٩ ش عدلى باشا بالقاهرة

تقدم الجمهور القيمة من الكتب العربية

مؤلفات مشرقة

مؤلفات الأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك

في تاريخ مصر القوي

٢٠	الطفل من الهدى إلى الرشيد للأستاذ محمد خلف الله
٢٠	الحاكم بأمر الله للأستاذ عبد الله عنان
١٥	من أدب الفراعنة للأستاذ محمد صابر
٣٠	مبادئ السياسة المصرية لمعالى محمد علوية باشا
١٠	السيرة للأستاذ بدرخان
٤٥	الأمراض التناسلية وعلاجها
	للدكتور يوسف عبد العزيز حمودة
١٠	قضية الفلاح للآنسة ابنة الشاطئ
١٥	في الطريق للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

٢٥	تاريخ الحركة القومية جزء أول (عهد الحملة الفرنسية)
٢٥	تاريخ الحركة القومية الجزء الثاني (من الحملة الفرنسية إلى ولاية محمد علي الكبير)
٢٥	عصر محمد علي
٣٠	خلفاء محمد علي وعصر إسماعيل في جزئين
٢٥	الثورة العربية
٢٠	مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ١٨٨٢ — ١٨٩٢
	مصطفى كامل
١٥	تاريخ مصر القوي من سنة ١٨٩٠ إلى سنة ١٩٠٨
٢٠	محمد فريد ١٩٠٨ — ١٩١٩